احترام المتعلم في السنة النبوية
(دراسة موضوعية)

د. منيرة هشبل العيافي القحطاني

عضو هيئة التدريس بجامعة الملك فيصل

المملكة العربية السعودية

من ١١٤٩ إلى ١١٩٤

احترام المتعلم في السنة النبوية
(دراسة موضوعية)

منيرة هشبل شافي القحطاني
قسم الدراسات الإسلامية_ كلية الآداب – جامعة الملك فيصل– المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: mnera222@hotmail.com

ملخص البحث

استهدف البحث التعرف إلى مفهوم احترام المتعلم ومنزلتهما في الإسلام، وقيمة الاحترام في الإسلام. ومكانة المتعلم في الإسلام. ومظاهر احترام المتعلم في السنة النبوية، وكان من أبرزها حسن استقبال المتعلم والترحيب به، وحوار المتعلم ومناقشته، وتقدير المتعلم واحترامه والصدق معه، وتقديم الأعمال الخِدْمِيَّة للمتعلم. ثم بيان أهمية احترام المتعلم في العملية التعليمية.

واعتمد البحث على المنهج الاستقرائي والاستنباطي باستقراء نصوص السنة وتناولها كوحدة موضوعية واحدة وتحليل نصوصها.

وكان من أبرز نتائج البحث تعدد مظاهر احترام المتعلم في السنة. وعظم مكانة المتعلم وفضله في الإسلام. والأثر العظيم لاحترام المتعلم على العملية التعليمية وعلى المجتمع. وتوصل البحث لعدة توصيات منها دراسة الأحاديث النبوية دراسة دقيقة مبنية على التأمل وقائمة على الفهم، تجمع بين الأصالة والإبداع. وإعداد المعلمين إعدادًا جيدًا وتدريبهم على أهم المهارات والأساليب التربوية قبل نزولهم لميدان التعليم. والتركيز على دراسة الأحاديث التي تعمق العلاقة الإنسانية بين الطالب والمعلم لإنجاح العملية التعليمية.

الكلمات المفتاحية: احترام، المتعلم، المعلم، السنة النبوية.

Respect for the learner in the Prophet's Year (Objective study)

Munira Hashbel Shafi al-Qahtani
Department of Islamic Studies _ Faculty of Arts - King Faisal University - Saudi Arabia
Email:: mnera222@hotmail.com

Abstract

The research aimed at recognizing the concept of a learner's respect and its position in Islam, the value of respect, the learner's status in Islam, and the appearances of a learner's respect in Islamic Sunnah. The most important of which, were good reception and welcoming of learner, dialogue and discussion with a learner, appreciation, respect, and truthfulness with a learner, providing services for him, and identifying the importance of a learner's respect in the educational process.

The research depended on the inductive and deductive approach, by inducting Sunnah scripts and dealing with them as a whole topic unit, and analyzing their texts.

The multiplicity of a learner's respect appearances in Sunnah, the great status and favor of a learner in Islam, and the great effect of a learner's respect on society and the educational process, were among the most important results of the research. The research concluded several recommendations such as: studying the prophet's hadith concisely based on reflection and comprehension, combining originality and creativity, good preparation and training of teachers on the main educational skills and techniques before they join the field of education, in addition to the concentration on studying hadith that deepen the human relationship between student and teacher for the success of the educational process .

Key words: Respect - learner - teacher - Islamic Sunnah

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل الله فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد

فإن القيم الإسلامية هي مجموعة الأخلاق والضوابط المستوحاة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم والتي تجعل الفرد قادرا على التفاعل الحي والمثمر مع مجتمعه، ومن هذه القيم قيمة الاحترام فالفرد مأمور بأن يحترم من حوله، ولا سيما أهل الفضل والعلم والقدر.

ونظرا لأن البعض قد يقصر الاحترام على هذه الفئة جاءت فكرة البحث، لأن احترام المتعلم للمعلم ذكر في النصوص الشرعية وتأصل في النفوس البشرية، وقرر في المناهج وتغنى به الشعراء تقديرا للمعلم وللدور العظيم الذي يقوم به، إلا أن احترام المعلم للمتعلم لا يقل عن أهمية احترام المتعلم للمتعلم؛ فإن احترام المتعلمين، وحسن التعامل معهم، يعد قضية إنسانية أخلاقية بالدرجة الأولى، يعبّر عن جوهر الإنسان وحقيقته الصافية والصادقة. وللأسف نشاهد في هذه الأيّام من قبل بعض المعلمين سلوكيّات لا تمتّ إلى الإنسانيّة وقيم الدّين والأخلاق بصفة، حيث يقوم البعض بسوء معاملة المتعلم برفع الصّوت، والتهديد والوعيد والتعالي، وقد يصل الأمر بالبعض إلى حدّ رفع اليد عليهم وإهانتهم، أو احتقارهم.

فلا يعقل ونحن ننتسب إلى أمّة الإسلام والقرآن، أمّة الإحسان، أن نجد مثل هذه المظاهر الّتي تعبّر عن أزمة حقيقيّة في هويّة البعض وانتمائهم إلى مفاهيم الإسلام الحقيقيّة.

وتكمن أهمية البحث في أثر احترام المتعلم في نجاح العملية التعليمية، مما ينعكس على المجتمع وعلى الحضارة الإنسانية بشكل عام، فإن احترام النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه كان له أثر كبير في إعداد جيل قائد، قاد الأمة الإسلامية للمجد ولبناء حضارة عظيمة فسادوا العالم في وقت قصير.

منهج البحث:

اتبعت المنهج الاستقرائي والاستنباطي باستقراء نصوص السنة وتناولها كوحدة موضوعية واحدة وتحليل نصوصها.

ولقد جعلت البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المقدمة وفيها أهمية الموضوع وسبب اختياره ومنهج البحث وخطته.

المبحث الأول: المبحث الأول: مفهوم احترام المتعلم ومنزلتهما في الإسلام وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: قيمة الاحترام في الإسلام.

المطلب الثاني: مفهوم كلمة (المتعلم) وعلاقته بالتعليم.

المطلب الثالث: مكانة المتعلم في الإسلام.

المبحث الثاني: مظاهر احترام المتعلم في السنة النبوية.

المظهر الأول: حسن استقبال المتعلم والترحيب به.

المظهر الثاني: حوار المتعلم ومناقشته.

المظهر الثالث: مدح المتعلم والثناء عليه وتعزيزه.

المظهر الرابع: تقدير المتعلم.

المظهر الخامس: الصدق مع المتعلم.

المظهر السادس: مطابقة قول المعلم لعمله.

المظهر السابع: اعتراف المعلم أمام المتعلم بالخطأ.

المظهر الثامن: مناداة المتعلم باسمه.

المظهر التاسع: تكريس المعلم وقته للمتعلم:

المظهر العاشر: تفقد أحوال المتعلم.

المظهر الحادي عشر: تقديم الأعمال الخِدْمِيَّة للمتعلم.

المبحث الثالث: أهمية احترام المتعلم في العملية التعليمية.

الخاتمة، ثم فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول: مفهوم احترام المتعلم ومنزلتهما في الإسلام.

المطلب الأول: قيمة الاحترام في الإسلام.

الاحترام هو أحد القيم الإسلامية العظيمة، وهو من أحد أهم الفضائل الحميدة التي أولى لها الإسلام عنايةً خاصةً وأعطاها مكانةً كبيرةً.

ولفظ الاحترام مشتق من الحرمة وهي: مَا لَا يحل انتهاكه من ذمَّة أَو حق أَو صُحْبَة أَو نَحْو ذَلِك[١]. ويقال احترمه أي: كرمه وبجله، ووقف له احتراما أي تقديرا وإكراما.

والاحترام كلفظ وإن لم يرد في القرآن لكن معناه ورد في مواضع شتى من القرآن الكريم وفي الحديث النبوي، فدعا القرآن وحث على احترام الإنسان فميزه بين سائر المخلوقات يقول تعالى:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠] ثم دعا الإنسان لاحترام من حوله من الناس، وجعل أولى الناس بالاحترام الوالدين؛ حيث قرن طاعتهما بعبادته وتوحيده وجعل الاحترام والتقدير من لوازم بر الوالدين فقال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣]

فالإسلام يعتبر الاحترام قيمةً من القيم الأساسية التي تُشادُ عليها الحضارات والمجتمعات الإنسانية الراقية فأغلب نصوص القرآن الكريم تدعو الناس لمراعاة الاحترام في العلاقات الإنسانية، وأعظم آية تدعو لاحترام الغير وتقديرهم هي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ. وَلاَ تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١١-١٢].

وهناك آيات كثيرة تدعو للاحترام بين ذوي القربى ، وبين الزوجين ، وبين الجيران، ومع القريب والغريب، وغير ذلك مما يسهم في بناء علاقات إنسانية راقية سواء بين

---

(١) المعجم الوسيط (١/١٦٩).

المسلمين أنفسهم أو بينهم وبين من يخالفهم في الدين كأصحاب الديانات الأُخرى ممّن التزم معهم بالسلم فلم يعادوهم أو يضطهدوهم، فأمر المسلمين عموما بأن يبروهم ويحسنوا إليهم ويعدلوا معهم: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ {الممتحنة،٨}.

والسنة النبوية كذلك تؤسس لقيمة الاحترام فتحث على السلام وإجابة الدعوة وعلى المحبة في الله وعلى التزاور، وتحرم أي مظهر من مظاهر عدم احترام المسلم للمسلم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تباغَضُوا ولا تحاسَدُوا، ولا تدابَرُوا ولا تقاطَعُوا، وكُونوا عباد الله إخوانًا، ولا يحلُّ لمسلمٍ أنْ يهجر أخاه فوق ثلاث"[(١)]

ومن مظاهر احترام المسلم لأخيه المسلم ألاَّ يتَكبَّر عليه ولا يحتقره، فقد قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: "لا يَدخُل الجنَّة مَن كان في قلبه مثقالُ ذرَّة من كبرٍ"، فقال رجل: إنَّ الرجل يحبُّ أنْ يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، فقال – صلَّى الله عليه وسلَّم –: "إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال، الكبرُ بطَر الحقِّ وغمْط الناس"[(٢)].

المطلب الثاني: مفهوم كلمة (المتعلم) وعلاقته بالتعليم.

تعريف التعليم لغة: عَلِمَ (الأَمْرَ)، إذا أَتْقَنَهُ، كتَعَلَّمَهُ فيقال تعلَّم؛ إذا عَرَفَ الأمر وأتقنه، وقال بعض أهل اللغة: إنَّ التَّعَلُّمَ هُوَ تَنَبُّهُ النَّفْسِ لتصورِ المَعَاني.

والمُعَلَّمُ: هو المُلْهَمُ لِلصَّوابِ وللخَيْرِ.

والمتعلم: من تعلم يتعلم فهو متعلم، وتعلم الأمر أي عرفه وأتقنه. [(٣)]

والتعليم مصطلح يطلق على (العملية التي تجعل الفرد يتعلم علمًا محددًا أو صنعة معينة، كما أنه تصميم يساعد الفرد المتلقي على إحداث التغيير الذي يرغب فيه من خلال علمه، وهو العملية التي يسعى المعلّم من خلالها إلى توجيه الطالب لتحقيق أهدافه التي يسعى إليها، وينجز أعماله ومسؤولياته)[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب: الهجرة رقم (٥٧٤٨) ومسلم في صحيحه كتاب البر والصلة، باب: النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر رقم (٤٧٧٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه رقم (١٤٧).

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي (٣٣/ ١٣٠،١٣٧)، المعجم الوسيط (٦٢٤/٢).

(٤) المناهج الحديثة وطرائق التدريس للدكتور محسن علي عطية، (ص ٢٦٠–٢٦١) بتصرف.

والتعليم أيضًا هو: (عملية يتم فيها بذل الجهد من قِبَل المعلم ليتفاعل مع طلابه ويقدم علمًا مثمرًا وفعالًا من خلال تفاعل مباشر بينه وبين الطلاب، وقد يحدث التعليم داخل المؤسسة التعليمية أو خارجها، وهو عملية شاملة؛ فيشتمل على المهارات، والمعارف، والخبرات، كالسباحة، وقيادة السيارة، والحساب، والكيمياء، والشجاعة، والأخلاق، وما إلى ذلك، كما يطلق مصطلح التعليم على كل عملية تتضمن تعليم الأفراد، سواء كان ذلك بطريقة مقصودة أو غير مقصودة؛ حيث إنّه من الممكن أن يكون مخططًا له بشكل سابق، أو أنّه حدث في التو واللحظة بدون تخطيط سابق كأن يتعلم الفرد أمورًا جديدة من خلال متابعته لفيلم معين على التلفاز[١].

ويُعَرَّف التعليم بأنه: عملية منظمة تستهدف اكتساب الشخص المتعلم للأسس العامة البانية للمعرفة، ويتم ذلك بطريقة منظمة مقصودة وبأهداف محددة ومعروفة[٢].

والتعليم هو التزام مشترك بين المعلّم والمتعلم بهدف إعداد وتثقيف المتعلم طَوَالَ حياته ليملك القدرة على إنجاز ما هو جديد ومفيد، كما أنه يطوّر مهاراته وقدرته في التفكير بوضوح ليقود العالم نحو الأفضل.

والتعليم الحقيقي هو الذي يحدث تغييرًا عميقًا في تفكير الإنسان يستمر معه طَوَالَ حياته مما يساعده في القيام بالأشياء على الوجه الصحيح.

كما ساهمت النظريات الحديثة في التعليم والتعلم باستبدال مفهوم (التلميذ) بمفهوم (المتعلم) وأصبح هذا الأخير أكثر استعمالا وتداولا في الأدبيات التربوية الحديثة والتي أوضحت أن مهمة التعليم والتربية هي إعداد متعلم مهني وذلك بإكسابه مجموعة من المعارف والقدرات والمهارات.

كما إن استبدال مصطلح (تلميذ) في العلاقة بين المعلم والتلميذ بمصطلح (المتعلم) الذي يندرج تحت مقاربة (تعلم التعلم)، ويعد وصف (المتعلم) محاولة إعلاء للمتعلم ليكون فاعلا ونشطا في تعلمه حتى أصبح المتعلم هو محور العملية التعليمية[٣]

---

(١) المصدر السابق (ص ٢٦٠-٢٦١)، بتصرف.

(٢) مفهوم التعليم www.abahe.co.uk، بتصرف.

(٣) صورة المتعلم في نظريات التعلم من الذات المنفعلة إلى الذات الفاعلة، بريزي عبدالله (ص ٣) بتصرف.

المطلب الثالث: مكانة المتعلم في الإسلام.

إن أول آية نزلت على النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– هي قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ *خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ *اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ *الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ *عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١–٥] وهي نداء من الله –عزَّ وجَلَّ– لنبيّه بالتعلم؛ وفي هذا دلالة كبيرة على مكانة العلم بشكل عام، ومكانة القلم الذي هو أحد وسائله بشكل خاص وفي قوله ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ بيان بأن العلم لا ينتهي، ولا حدود له.

ولقد رفع الله –تعالى– شأن العلم وأعلى منزلة أهله، وبيَّن مكانتهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَرْفَعِ الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]

ولقد أمر الله –تعالى– نبيه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بالاستزادة من العلم، فقال له سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]؛ لما للعلم من دور كبير في صلاح الأمم، ولأنه الطريق الصحيح لمعرفة الله تعالى، والحصول على رضوانه.

ولقد فرق الله –تعالى– بين العالم والجاهل؛ لما بذله العالم من جهد عظيم في سبيل العلم، يقول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

ولقد شرَّف الله –تعالى– قدر العلم ورفع منزلة العلماء بقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٩] وورد في فضل طلب العلم أحاديث كثيرة من أجمعها ما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه حيث قال: سمعت رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يقول: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ. إِنَّ الْعُلَمَاءَ

هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[١].

وذكر لرسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال: «فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ».[٢]

المبحث الثاني: مظاهر احترام المتعلم في السنة النبوية.

الاحترام معناه أن يشعر كل فرد بقيمته وأهميته، ولقد دأب النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– على احترام من يعلمهم وإشعارهم بأهميتهم، فجميع سلوكياته معهم تدل على احترامه لهم، ومن مظاهر هذا الاحترام:

المظهر الأول: حسن استقبال المتعلم والترحيب به:

خير ما يبدأ به المعلم استقبال طلابه هو الترحيب، وإظهار الابتهاج بهم وإكرامهم والاستعداد للقائهم، وإظهار الشوق والفرحة بلقائهم؛ فقد كان النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يتخذ لباسًا خاصًا وخطيبًا يخطب بين يديه؛ إشعارًا منه بمزيد الاهتمام بهم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قال: من القوم أو من الوفد؟ قالوا: ربيعة، قال: «مرحبًا بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى... الحديث».[٣]

فكان يظهر صفاتهم رافعًا سقف التوقعات الإيجابية عنهم، فها هو لما قدم الأشعريون أهل اليمن عليه قال في حقهم: «أتاكُم أهل اليمن هم أرقُّ أفئدةً، وألينُ قلوبًا، الإيمانُ يَمانٍ، والحِكْمةُ يمانِيَةٌ»[٤]

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم رقم (٢٢٣). وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، في أبواب العلم عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم (٢٦٨٥)، وقال: حسن صحيح غريب.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب العلم، باب: تحريض النبي –صلى الله عليه وسلم– وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا من وراءهم حديث، رقم (٨٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب المغازي، باب: قدوم الأشعريين وأهل اليمن، (٤١٥٠).

وكان –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لا يكتفي فقط بالترحيب والثناء، بل يتعداهما إلى المبالغة في الحفاوة والتقدير، فقد روي أنه لما وفد عليه وائل بن حجر رضي الله عنه أنه بشر به أصحابه قبل قدومه، فقال: «يأتيكم بقية أبناء الملوك». فلما دخل رحب به، وأدناه من نفسه وقرب مجلسه وبسط له رداءه، وقال: «اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده»[١].

وأحيانًا يعبر بعبارات أعمق من الترحيب، كما فعل مع وفد عبس عندما (وفدوا عليه وكانوا تسعة، فقال النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «أنا عاشركم». وعقد لهم لواءً وجعل شعارهم (يا عشرة)[٢]، وكما فعل مع صفوان بن عسال رضي الله عنه عندما جاء إليه وقال له: يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم. فقال له النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «مرحبًا بطالب العلم؛ إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم على بعض حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب...». [٣]

فكان لهذه الحفاوة والترحيب وحسن الاستقبال الأثر العظيم في نفوس من يراه أول مرة؛ فتنجذب له وتتأثر به سريعًا، وتقبل عليه، وتعطي وتقدم للدين ما يفوق التوقعات.

إن أخطر ما ينبغي أن يخطط له المعلم هو اللقاء الأول بطلابه، وهذه مهارة قلَّ من يتقنها من المعلمين؛ فاللقاء الأول بين المعلم والطلاب هو الأساس الذي تقوم عليه العلاقة بينهما طَوَالَ فترة الدراسة، وله دور كبير في كسر الحواجز النفسية بينهم.

أهم خطوات اللقاء الأول:

١– الترحيب بهم.
٢– حسن استقبالهم وإظهار الابتهاج بهم.
٣– التعرف على أسمائهم وأهم مهاراتهم.
٤– تقديم نفسه ومقرره الذي يدرسه بصورة جيدة، فلا يقدم نفسه بصورة فيها تضخيم وتفخيم لذاته، ولا بإظهار إفلاسه المبكر بقوله مثلًا: أول مرة أدرس هذا المقرر أو لي تجربة فاشلة في تدريس هذا المقرر؛ مما ينعكس سلبًا على التصور المبدئي للمقرر ومدرّسه.

---

(١) البداية والنهاية (٥/٩٣).
(٢) رواه ابن عساكر في (تاريخ دمشق)، (٤٩/٣٥٩).
(٣) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/١٥٥) بإسناد صحيح.

٥- رفع سقف التوقعات فقد دلَّت التجارب[١] أن الطلاب يجاهدون ويحرصون على تحقيق توقعات معلمهم الإيجابية، والعكس فلو توقع منهم الإخفاق فسيعطون أنفسهم رسائل سلبية تعوق تقدمهم بل سيبذلون جهدًا لتحقيق النتائج السلبية؛ لأن المعلم أعلم منهم، فقد توقع صعوبة المقرر وعدم النجاح فيه أو التميز فيه.

المظهر الثاني: حوار المتعلم ومناقشته.

ذُكر الحوار في القرآن في مواضع شتى وبأساليب مختلفة، منها حوار الله مع الملائكة:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وحوار الله مع الشيطان المعاند: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٢] وذكر القرآن الكريم جانبًا من حوارات الأنبياء مع أقوامهم.

---

(١) في الستينيات قام الدكتور (روبرت روزنثال) بتجربة حيث كلف طلابه بمهمة جعل الفئران البيضاء تقطع متاهات بأسرع وقت ممكن، فقسم طلابه إلى مجموعتين: الأولى: تجريبية والثانية: ضابطة، وتم اخبار الطلاب في المجموعة الضابطة أن فئرانهم فئران مختبر لا يميزها شيء، أما الطلاب في المجموعة الثانية فأخبروا أن فئرانهم قد تم توليدها بعناية فائقة وأنها متفوقة ويتوقع منها الكثير، استطاعت الفئران في المجموعة التجريبية أن تقطع المسافات بسرعة تفوق المجموعة الضابطة من ثلاث إلى أربع مرات.

الحقيقة لم يكن هناك فرق بين الفئران حيث تم توزيعها عشوائيًّا لكن الطلاب في المجموعة التجريبية تفاعلوا بحماسة ومساندة أكبر. ولذا حصلت هذه النتيجة.

انضم إلى (روزنثال) باحث آخر هو (لينور جاكبستون) للتثبت من أن ما حصل في المختبر يمكن أن يحصل في المدرسة، فأخبرا مجموعة محددة من المعلمين في إحدى المناطق التعليمية في لوس أنجلوس أنه قد خصص لهم مجموعة من الطلاب ذوي القدرات المتميزة الذين يتوقع منهم تحصيل كبير هذا العام الدراسي، وأخبرا مجموعة أخرى أنها قد كلفت بتعليم طلاب عاديين لا يميزهم شيء.

ماذا كانت النتيجة؟ لقد تفوق الطلاب الذين توقع منهم معلموهم أمورًا استثنائية على أولئك الذين لم يتوقع معلموهم الشيء نفسه، ليس في التحصيل فقط بل حتى في اختبارات الاستعداد؛ والسبب في ذلك أن توقعات المعلمين جعلتهم يهتمون بالطلاب "الاستثنائيين" ومساعدتهم بشكل أكبر حين يصعب عليهم التعلم، ويحدث ذلك دون وعي أو إرادة حقيقية.

ودعوة الله –تعالى– نبيه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إلى الحوار مع الناس بالرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف، وإذا احتاج أحدهم إلى مناظرة أو جدال، فليكن بالوجه الحسن وحسن الخطاب، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]

وأدرك النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– من هذه التربية القرآنية أهمية الحوار فحاور أصحابه تارة للتعليم، وتارة للتنبيه، وتارة للاستئناس، وتارة لمعرفة الأحوال، فأحيانًا يحاورهم لبواعث وأهداف علمية، وأحيانًا تكون بواعثه الحُبّ والاحترام والتقدير لهم، يقول الشاعر:

إن الكلامَ لفي الفؤادِ وإنما ** جُعِلَ اللسانُ على الفؤادِ دليلا[1]

ففاض قلب النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بالحُبّ فخرج للناس وأحسوا به ولمسوه في تعامل النبي صلى الله وسلم وفي كلامه معهم، فحاوروه وراجعوه في أمن منقطع النظير؛ فلم يخافوا غضبه، وأمنوا عقوبته، فلم يسئ لأحد منهم مهما كانت حدّة النقاش، وحتى لو تجاوز المناقش، فإنه يبين له الخطأ بالحجج والبراهين بدون أن يمس ذاته أو ينتقص منها.

فكان تعليم النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لأصحابه قائمًا على الحوار والمناقشة والأخذ والرد؛ احترامًا منه لعقولهم، وتقديرًا منه لتفكيرهم، وإشباعًا لحاجاتهم النفسية، ومن صور حواره معهم:

الصورة الأولى: الإكثار من مشاورتهم.

حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه: "ما رأيت أحدًا أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–"، والسنة زاخرة بالأمثلة الكثيرة، فعندما وقعتْ غزوة بدر وانتهت المعركة، وقَعَ في أيدي المسلمين سبعون أسيرًا من مُشركي قريش، فاستشار النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أبا بكر الصديق – رضي الله عنه – وعمرَ بن الخطاب – رضي الله عنه – في هؤلاء الأسرى، فكان رأي أبي بكر الصديق المنَّ على الأسرى بعد أخْذِ الفِديَة منهم، وكان رأيُ عُمر الفاروق قتْلَهم، فأخذ برأي أبي بكر الصديق –

(١) ذكره أحمد قبش في كتابه مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، ونسبه للأخطل (١٢٧/٩).

رضي الله عنه.[١] وفي غزوة حمراء الأسد[٢] عندما عَلم النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَسَلَّمَ– أن قريشًا قد قررت العودة إلى المدينة – بعد وقعةِ أُحُد – طلَب النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– من أبي بكر الصديق ومِن عُمر بن الخطاب المشورة، فأشارا عليه بالخروج إلى حمراء الأسد لتعقب المشركين؛ لمنعهم من العودة إلى المدينة ثانيةً، فأخذ النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– برأيهما، وخرَج إلى حمراء الأسد.[٣]

ولم يقتصر سماعه ومشاورته على الرجال فقط دون النساء، فها هو يأخذ بمشورة أم سلمة رضي الله عنها بعد صلح الحديبية في التحلل من الإحرام، فقد جاء في الصحيح من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه أنّ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لما فرغ من قضية الكتاب لأصحابه قال: «قوموا فانحروا ثم احلقوا» قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك: ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد[٤] دخل على أم سلمة فذكر له ما لقى من الناس، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: أتحب ذلك؟ اخرج لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَك[٥] وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك نحر بُدْنه، ودعا حالقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يُقتل غَمًّا.[٦]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم حديث رقم (١٧٦٣) (٣/ ١٣٨٣).

(٢) وهو موضع على ثمانية أميال من المدينة، إليه انتهى رسول الله، –صلى الله عليه وسلم–، يوم أحد في طلب المشركين. معجم البلدان لياقوت لحموي (٢/ ٣٠١).

(٣) ينظر: "مغازي الواقدي" (١/ ٣٢٦)، و "سُبل الهُدى والرَّشاد في سيرة خير العباد" (٤/ ٣٠٨).

(٤) قال ابن حجر في فتح الباري (٥/٢٥٦) معلقًا: "قيل: كأنهم توقفوا لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للندب، أو لرجاء نزول الوحي بإبطال الصلح المذكور، أو تخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام نسكهم، وسوغ لهم ذلك لأنه كان زمان وقوع النسخ، ويحتمل أن يكونوا ألهتهم صورة الحال فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند أنفسهم من ظهور قوتهما واقتدارهم في اعتقادهم على بلوغ غرضهم وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة، أو أخروا الامتثال لاعتقادهم أن الأمر المطلق لا يقتضي الفور، ويحتمل مجموع هذه الأمور.

(٥) البُدْن هي الإبل. ينظر: المصباح المنير للفيومي (٢/٣٩).

(٦) هذا جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط حديث رقم (٢٥٨١) (٢/٩٧٤).

وقد اشتمل الحديث على عدة فوائد:

- صبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإدارته لانفعالاته.
- فضل المشورة.
- إذا انضم الفعل مع القول كان أبلغ في التأثير.
- فيه مشاورة المرأة الفاضلة والعاقلة.
- فضل أبي بكر، وعمر، وأم سلمة رضي الله عنهم وحسن تفكيرهم وتقديرهم للأمور.

والشورى دائمًا حاضرة في حياة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يؤكدها في نفوس أصحابه من وقت لآخر؛ ليعرفوا أن الاستبداد بالرأي ليس من شيم القادة والمربين، وأنه لا يصنع عقولًا بل يعطل التفكير ويورث الاتكال والتبعية.

الصورة الثانية: إعطاؤهم فرصة للتعبير عن وجهة نظرهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا، وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا، وَفَزِعْنَا، فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلْأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ، فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابًا؟ فَلَمْ أَجِدْ، فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ -وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ- فَاحْتَفَزْتُ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: «أَبُو هُرَيْرَةَ» فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا، فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا، فَفَزِعْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَأَتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ، فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، وَهَؤُلَاءِ النَّاسُ وَرَائِي، فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ» وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ، قَالَ: «اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ، فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلَانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: هَاتَانِ نَعْلَا رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، بَعَثَنِي بِهِمَا مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَخَرَرْتُ لِاسْتِي، فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً، وَرَكِبَنِي عُمَرُ، فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» قُلْتُ: لَقِيتُ عُمَرَ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ، فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً خَرَرْتُ لِاسْتِي، قَالَ: ارْجِعْ، فَقَالَ

رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَا عُمَرُ، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ، وَأُمِّي، أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ، مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا، فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «فَخَلِّهِمْ» [(١)].

الصورة الثالثة: الرد على أسئلتهم.

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، ﷺ قال: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي المَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ، فَأَنَاخَهُ فِي المَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ المُتَّكِئُ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا ابْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «قَدْ أَجَبْتُكَ». فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي المَسْأَلَةِ، فَلاَ تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ؟ فَقَالَ: «سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ» فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، آللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ. [(٢)]

الصورة الرابعة: اقناعهم.

عن عدي بن حاتم قال: لَمَّا بَلَغَنِى خُرُوجُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَرِهْتُ خُرُوجَهُ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَوْ أَتَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا لَمْ يَضُرَّنِى وَإِنْ كَانَ صَادِقًا عَلِمْتُ، فَقَدِمْتُ فَأَتَيْتُهُ فَلَمَّا قَدِمْتُ قَالَ النَّاسُ: عَدِىُّ بْنُ حَاتِمٍ عَدِىُّ بْنُ حَاتِمٍ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فَقَالَ لِى: «يَا عَدِىُّ بْنَ حَاتِمٍ أَسْلِمْ تَسْلَمْ» ثَلاَثًا.

قَالَ قُلْتُ: إِنِّى عَلَى دِينٍ.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك رقم (٥٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: ما جاء في العلم وقوله (وقل ربي زدني علمًا) رقم (٦٣).

قَالَ: «أَنَا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ».
فَقُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ بِدِينِي مِنِّي!
قَالَ: « نَعَمْ أَلَسْتَ مِنَ الرَّكُوسِيَّةِ؟[١]، وَأَنْتَ تَأْكُلُ مِرْبَاعَ قَوْمِكَ»[٢].
قُلْتُ: بَلَى.
قَالَ: «فَإِنَّ هَذَا لاَ يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ»، قَالَ فَلَمْ يَعْدُ أَنْ قَالَهَا فَتَوَاضَعْتُ لَهَا.
فَقَالَ: «أَمَا إِنِّي أَعْلَمُ مَا الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنَ الإِسْلاَمِ تَقُولُ: إِنَّمَا اتَّبَعَهُ ضَعَفَةُ النَّاسِ وَمَنْ لاَ قُوَّةَ لَهُ وَقَدْ رَمَتْهُمُ الْعَرَبُ، أَتَعْرِفُ الْحِيرَةَ؟».
قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ سَمِعْتُ بِهَا.
قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى تَخْرُجَ الظَّعِينَةُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِ جِوَارِ أَحَدٍ وَلَيُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ».
قُلْتُ: كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ!
قَالَ: «نَعَمْ كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ، وَلَيُبْذَلَنَّ الْمَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ».
قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ فَهَذِهِ الظَّعِينَةُ تَخْرُجُ مِنَ الْحِيرَةِ فَتَطُوفُ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِ جِوَارٍ، وَلَقَدْ كُنْتُ فِيمَنْ فَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكُونَنَّ الثَّالِثَةُ؛ لأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَدْ قَالَهَا..[٣]

في هذا الحوار استخدم النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بعض أساليب الإقناع التي قامت بدور كبير في التأثير على الآخرين، وتغيير مفاهيمهم واتجاهاتهم ومشاعرهم الخاطئة:

أولًا: في الحديث إشارة أن المحاور لا بد أن يكون واسع الاطلاع وعالي الفهم، ولو على الأقل فيما سيحاور فيه، ويتجلى ذلك في قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنا أعلم بدينك منك».

ثانيًا: الإجابة عن تساؤلاته واستفهاماته وتعجبه؛ كما في إجابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتعجب عديّ من علمه بدينه، وعدم تجاهله والاستطراد في الحوار.

---

(١) الرَّكُوسِيَّة هو دين بَيْن النَّصَارَى والصائبين، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٢٥٩).
(٢) رَبَعْتُ القومَ أَرْبُعُهُمْ: إِذَا أَخَذْت رُبع أَمْوَالِهِمْ، مِثْلَ عَشَرْتُهم أعشُرُهم. يُرِيدُ أَلَمْ أجْعَلْكَ رَئِيسًا مُطاعا؛ لِأَنَّ الْمَلِكَ كَانَ يأخذُ الرُّبع مِنَ الْغَنِيمَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ دُون أَصْحَابِهِ، ويُسَمَّى ذَلِكَ الرُّبعُ: الْمِرْبَاعُ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/١٨٦).
(٣) أخرجه أحمد في مسنده، رقم (١٨٥٤٩).

ثالثًا: إزالة الموانع ودحض الشبهات التي تعوق إقناع المعلم لمن يحاوره، ويظهر ذلك في قوله «إني أعلم ما الذي يمنعك من الإسلام....»

رابعًا: استخدام أرقى العبارات واختيار أجملها، والبعد من العبارات غير المفهومة والتي قد تعوق وصول الرسالة المراد توصيلها، فهذا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قبل أن يستخدم لفظة في حواره مع عدي يسأله بقوله «أتعرف الحِيرة؟».

إن استخدام أسلوب الأوامر والنواهي والتعليمات دون إقناع يعد من الأساليب الجامدة التي لا تؤتي ثمارها؛ لذا تجد النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في تغيير المفاهيم وتبديل الاقتناع كثيرًا ما يستعمل أساليب الإقناع حتى مع الأطفال صغار السن، فهذا هو مع الحسين رضي الله عنه وهو صغير لم يبلغ الثامنة يحاوره محاورة الكبار ليقنعه، ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- أن الحسين بن علي رضي الله عنه أخذ تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كِخْ، كِخْ» ليطرحها، ثم قال: «أما شعرتَ أنَّا لا نأكل الصدقة؟»[(١)].

فهذا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يوضح للحسين أن سبب إخراجه التمرة هو أن آل بيت النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يأكلون الصدقة؛ وذلك ليغرس هذا الأمر في نفسه، وحتى لا يذهب ذهنه لسبب آخر.

ومن هذا نستشف أن على المربين والمعلمين عندما يرون ارتكاب طلابهم لأي خطأ أو سلوك بعيد من روح الإسلام ومبادئه أن يجلسوا معهم ويحاوروهم؛ فإن جلسة حوار قد تكون كافية لتغيير السلوك ولهز الاقتناع وزعزعته؛ مما يسهل عليه تركها.

فعلى المعلم أن يحاور ويناقش طلابه، وأن يترك لهم مجالًا كبيرًا ليتحدثوا؛ فإن علماء الأعصاب يرون أن الشخص الذي يتكلم في غرفة الصف في أكثر الأوقات هو الذي ستنمو شجيراته العصبية (الخلايا الدماغية) بشكل أكبر؛ والسبب في ذلك: أنه عندما يفتح الطالب فمه للتحدث تسمح هذه الحركة بإرسال الأكسجين للدماغ مما يجعله متيقظًا ومنتبهًا.[(٢)]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة، باب: ما يذكر في الصدقة للنبي صلى الله عليه وسلم وآله رقم (١٤٣٢).

(٢) الإنسان المهدور لمصطفى حجازي (ص ١٤٤).

لذا أرى أنه يجب أن يتكلم الطلاب مرتين على الأقل أكثر مما يتكلم المعلم أثناء الدرس.

المظهر الثالث: مدح المتعلم والثناء عليه وتعزيزه.

ومنه قول النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ»[(١)]، وقال ابن عباس: دَعَا لِي رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِخَيْرٍ كَثِيرٍ، وَقَالَ: «نِعْمَ تُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ أَنْتَ»[(٢)].

قال النووي: "وفيه جواز مدح الإنسان في وجهه إذا كان فيه مصلحة، ولم يخف عليه إعجاب ونحوه لكمال نفسه، ورسوخه في التقوى".[(٣)]

وعن أبي قلابة، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالحَلاَلِ وَالحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ» [(٤)].

ولم يكتفِ النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بالثناء مرة واحدة في حق الصحابي الواحد، بل كرره أكثر من مرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال:"نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو بَكْرٍ، نِعْمَ الرَّجُلُ عُمَرُ، نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، نِعْمَ الرَّجُلُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، نِعْمَ الرَّجُلُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، نِعْمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، نِعْمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ"[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: قصة أهل نجران رقم (٤٣٨٢).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، (١١/ ٨٠) رقم (١١١٠٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٢٧٦/٩) رقم (١٥٥١٦): رواه الطبراني، وفيه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خِرَاشٍ، وهو ضَعِيفٌ.

(٣) شرح النووي (٩٣/٦).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه في أبواب المناقب عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، باب: مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي، وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم رقم (٣٧٩١) وقال: هذا الحديث حسن صحيح.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه في أبواب المناقب عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، باب: مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي، وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم رقم (٣٧٩٥) وقال: حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث سهيل.

وكان مدح النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يشمل الأفراد ويشمل الجموع، فهذا وفد أهل اليمن يأتي قادمًا للمدينة فيقول –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «أتاكم أهلُ اليمنِ همْ ألينُ قلوبًا وأرقُّ أفئدةً، الإيمانُ يمانٍ، والحكمةُ يمانيةٌ»[١].

وفي قصة سَلَمَة بن الْأَكْوَع . رضي الله عنه . في غزوة (ذِي قَرَدٍ) [٢] لما رجعوا قافلين إلى المدينة، وناموا في الطريق بعد أن أبلى سلمة رضي الله عنه بلاءً حسنًا وأظهر شجاعة منقطعة النظير، قال سلمة رضي الله عنه: فلما أصبحنا قال رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ». قال: أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– سَهْمَيْنِ سَهْمَ الْفَارِسِ، وَسَهْمَ الرَّاجِلِ، فجمعهما لي جميعًا، ثم أَرْدَفَنِي رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– على الْعَضْبَاءِ[٣] رَاجِعِينَ إلى المدينة»[٤]

يقول إبراهيم الدحيم: "تأمل هذه الحادثة، وكم فيها من الثناء والتشجيع وتقدير الكفاءات؛ ففي قوله: «وخير رجالتنا سلمة» إعلان للتكريم أمام مجمع من الصحابة. ثم إن في إعطائه سهمين مكافأة أيضًا وتقديرًا لجهوده، ثم في إرداف النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– له على الدابة زيادة في التكريم والتقدير له، ولك أن تتصور مقدار التكريم حين يُركبك القائد معه في مركبته الخاصة تسير بصحبته أمام الناس . كم سيضاعف هذا الثناء والتقدير من نشاطٍ في نفس سلمة أو أبي قتادة رضي الله عنهما، بل كم سيحرّك في نفوس الآخرين حين يكون المدح في محله!، إن كثيرًا من القدرات، وكثيرًا من أصحاب الكفاءات يصابون بالضمور، بل ربما يموتون وتموت مواهبهم وقدراتهم؛ لأنهم لا يجدون من يدفعهم بكلمة ثناء، أو يرفعهم بعبارة تشجيع، إننا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب: تفاضل أهل الإيمان فيه، ورجحان أهل اليمن رقم (٩٠).

(٢) غزوة ذي قَرَد أو غزوة الغابة. وقعت قبل فتح خيبر بثلاث، وسببها أن عبدالرحمن الفزاري وعيينة الفزاري مع أربعين راكبًا غاروا على إبل رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، والقصة مذكورة بالتفصيل في صحيح مسلم يرويها بطل القصة سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

(٣) هذه رواية مختصرة من الحديث الطويل الذي أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الجهاد، باب: غزوة ذي قَرَدٍ وغيرها رقم (٣٤٧٥).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الجهاد، باب: غزوة ذي قَرَدٍ وغيرها رقم (٣٤٧٥).

حين نثني على أصحاب القدرات لسنا نحفظ ونضمن جهد المجتهد منهم فحسب، بل إننا نحرّك نفوسًا ربما لا يحرّكها أسلوب آخر.[١]

وبعد أن تعرفنا على أهمية التعزيز كمهارة مهمة لا بد أن يستخدمها كل معلم مبدع، نشير هنا إلى أن نجاح المعلم في استخدام المعززات المختلفة يتوقف على عدة أمور، وهي:

- ✓ ألا يكون التعزيز مفتعلًا، يحدث بمناسبة وبدون مناسبة، فالتوقيت مهم جدًّا.
- ✓ أن يشعر الطالب بصدق شعور المعلم فيما يقول ويفعل.
- ✓ أن تتناسب المعززات مع نوع الاستجابة ومدى جودتها.
- ✓ التنويع في استخدام المعززات أمر ضروري؛ حتى لا يشعر الطالب بالرتابة.
- ✓ يجب الحذر من استخدام التعزيز المادي باستمرار، حيث إن هذا الأسلوب قد يؤدي إلى تعود الطالب على ألا يعطي إلا بمقابل مادي !!
- ✓ يجب أن يستدعي التعزيز المعارف المتعلمة عن أعمال وسلوك الطالب، والذي يمثل تصحيح أو تعديل لسلوكه.

قامت إحدى الباحثات وتدعى (هيرلوك) بتجربة تقيس (قيمة التعزيز الإيجابي وأثره الحقيقي على التعلم).

- وصف التجربة:

أجريت هذه التجربة على (١٦٠) طفلة في المرحلة الابتدائية، قسمتهم الباحثة على أربع مجموعات متكافئة كل مجموعة مكونة من (٤٠) طالبة على أساس القدرة الحسابية والعمر الزمني.

وطلبت من التلميذات حل أكبر عدد ممكن من المسائل الحسابية خلال ١٥ دقيقة، وقد استخدمت (٥) فئات متعادلة من هذه المسائل؛ وكل فئة تتكون من (٣٠) مسألة.

---

(١) مقال الأساليب النبوية في التربية والتعليم لإبراهيم بن صالح الدحيم، جمعية الحديث الشريف لإحياء التراث.

١) مجموعة اللوم:

يطلب من كل تلميذة أن تقف أمام طالبات الفصل جميعًا عقب انتهاء كل محاولة وتلام وتوبخ على أخطائها، وعلى الإخفاق الذي أحرزته، وهي لا تعلم عن نتيجة أدائها الفعلي.

٢) مجموعة المدح:

وقد طلب من كل تلميذة أن تواجه طالبات الفصل، وتمدح على أدائها الحسن بدون أن تعلم بالطبع طبيعة أدائها الحقيقي في حل المسائل.

٣) مجموعة التجاهل:

وقد كانت التلميذة تسمع مدح أو لوم المجموعات الأخرى إلا أنها لم يكن يشار إليها مطلقًا خلال هذه المواقف التعليمية.

٤) المجموعة الضابطة:

وقد كانت تعمل في حجرة منفصلة ولم تتلق أي لوم أو مدح، كما أنها لم تلاحظ ما يوجه إلى غيرها، كما لم تعلم بالضبط طبيعة أدائها.

نتائج التجربة

بعد حل المجموعة الأولى من الأسئلة:

متوسط النتائج في المجموعات الأربع كان متساويًا تقريبًا.

بعد حل المجموعة الثالثة من الأسئلة:

لوحظ أن أداء مجموعتي المدح والذم كان متعادلًا تقريبًا، وكانت الدرجات أعلى من مجموعة التجاهل والضابطة.

بعد حل جميع الأسئلة:

كانت مجموعة المدح الأفضل، وزادت مجموعة الذمّ سوءًا، وتبعتها مجموعتا التجاهل ثم الضابطة. [١]

والتعزيز له أساليب مختلفة هي:

١- المعززات اللفظية:

هي كلمات أو جمل أو عبارات الاستحسان التي يوجهها المعلم لطلابه، بهدف إشباع احتياجاتهم النفسية؛ ومن ثمَّ زيادة معدل تحقيقهم للأهداف التعليمية المرسومة.

---

(١) علم النفس التربوي، لفؤاد أبو حطب وآمال صادق (ص٣٩٠-٣٩١).

تتأثر المعززات اللفظية بنغمة الصوت ودرجة حدّته، وبالتركيز على المقاطع، وبسرعة الإلقاء، فكلمة (نعم) يمكن أن تعبر عن مشاعر كثيرة مثل القبول، والغضب، والاستسلام، وعدم المبالاة والتحدي، والاستفسار...

يمكن أن يكون التعزيز اللفظي متحفظًا، فمثلًا عندما تكون إجابة الطالب صائبة في جزء منها، فإن المعلم يقوم بتعزيز الجزء الذي أصاب فيه الطالب، ويدل على ذلك ما رواه أبي هريرة رضي الله عنه «أن رجلًا أتى رسول الله ﷺ فقال: إني أرى الليلة –فذكر رؤيا، فعبرها أبو بكر –فقال النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «أصبتَ بعضًا، وأخطأتَ بعضًا». [(١)]

٢– المعززات غير اللفظية:

وهي اللغة التي ليس لها قاموس يحدد معاني مفرداتها، وتختلف باختلاف البيئات وخبرة ومهارة المعلمة، ومنها الحركات والإشارات والإيماءات.

مثل:

١– الابتسامة.

٢– النظرة المتأملة.

٣– حركة الرأس.

٤– الإقبال بالجسم.

٥– حركة اليدين.

المظهر الرابع: تقدير المتعلم.

يقول عمر بن الخطاب –صاحبه وخليفته –: ناداه أعرابي يومًا ثلاث مرات، فكان رسول الله–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يرد عليه في كل مرة «لبيك. لبيك. لبيك» [(٢)]، ومن تقديره لأصحابه قوله: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ» [(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب: من لم يرَ الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب رقم (٧٠٤٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا، باب: في تأويل الرؤيا، (٢٢٦٩).

(٢) أخرجه الطبراني في كتابه (الدعاء) (ص٥٤٢) رقم (١٩٤٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب: قول النبي ﷺ:" لوكنت متخذًا خليلًا" رقم (٣٦٧٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: تحريم سبّ الصحابة رضي الله عنهم رقم (٢٥٤٠).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين . في غزوة أحد . فقال لي النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– «ارمِ فداك أبي وأمي»، قال: فنزعت له بسهم له نصل، فأصبت جنبه فسقط وانكشفت عورته، فضحك النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–. (١)

إن المعلم الذي يجعل علاقته بطلابه علاقة أعلى وأدنى، ويجعل تعليمه قائمًا على الأوامر والنواهي والتلقين والمحاسبة؛ لا يكون ذا أثر كبير في تقدمهم فما أسرع ما يتلاشى، أما المعلم الذي يجعل علاقته بطلابه علاقة ربانية قائمة على الحُبّ والتقدير والاحترام المتبادل فسيجني ثمار تعليمه، وسيخرج على يديه المتميزون والناجحون والقادرون على تحمُّل المسئولية وعلى نفع الإنسانية.

المظهر الخامس: الصدق مع المتعلم.

صدق المعلم يدعو المتعلم إلى الثقة به وبما يقول، ويكسبه احترام المعلمين، ويرفع من شأنه في عمله، ويتمثل صدق المعلم في مستلزمات المسئولية الملقاة على عاتقه، والتي منها نقل المعرفة بما فيها من حقائق ومعلومات للأجيال، فإن لم يكن المعلم متحليًا بالصدق فإنه سينقل لهم علمًا ناقصًا ومبتورًا، وحقائق ومعلومات مغايرة للصورة التي يجب أن ينقلها، وإذا تعود التلميذ قَبُولَ هذا السلوك السيء من المعلم فإنه ربما يستحسن هذا العمل حتى يصبح ملازمًا له، وهو أمر خطير على المجتمع. (٢)

وقال ابن حمدون: (عشر يورثن المَحَبَّة: كثرة السَّلام، واللطف بالكلام، واتباع الجنائز، والهدية، وعيادة المرضى، والصدق، والوفاء، وإنجاز الوعد، وحفظ المنطق، وتعظيم الرِّجال) (٣).

المظهر السادس: مطابقة قول المعلم لعمله.

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (١) أي: لم تقولون الخير، وتحثون عليه، وربما تمدحتم به، وأنتم لا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، رقم (٤٠٥٩) عن علي رضي الله عنه مختصرًا، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: في فضل سعد بن أبي وقاص رقم (٢٤١٢) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بلفظه.

(٢) المعلم الأول –صلى الله عليه وسلم– لفؤاد عبد العزيز الشلهوب (ص١٥).

(٣) التذكرة الحمدونية، لابن حمدون (٢/٢٢٥).

تفعلونه. وتنهون عن الشر، وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون متصفون به. فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟ إن من أكبر المقت عند الله، أن يقول العبد ما لا يفعل؟ ولهذا ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس مبادرة إليه، والناهي عن الشر، أن يكون أبعد الناس عنه، قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٢]. وقال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾[٣].

ورسولنا –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كان يأمر الناس بالخير وهو أول من يأتيه، وكان ينهاهم عن الشر وهو أول من يجتنبه ويبتعد عنه، وهذا من كمال خلقه عليه الصلاة والسلام، ولا عجب فقد كان خلقه القرآن. ومطابقة القول العمل، أسرع في الاستجابة من مجرد القول بمفرده، والمعلم هو أحوج الناس إلى التزام ذلك المنهج في واقع حياته؛ لأنه قدوة يحتذى، وطلابه يأخذون عنه الأخلاق، والأدب، والعلم، ولعمر الله أي فائدة تُرجى من معلم ينقض قوله عمله؟! ثم إنّ التناقض الذي يشاهده الطالب من قبل معلمه يوقعه في حَيرة عظيمة، وكأني بذلك الطالب الحائر وهو يسأل نفسه: لقد تحيَّرْتُ في أمري، ماذا أفعل، هل أصدق قوله، أم فعله الذي يناقض قوله؟!، فهو يقول لنا: الكذب عادة سيئة مذمومة وعاقبتها إلى الخسران، ثم نسمعه بعد ذلك مرارًا يكذب علينا![٤]

إن من طبيعة النفس البشرية أنها تمجُّ الذي لا يصدق فعله قوله، فهو في نظرها يخادعها ويكذب عليها ولا يحترمها، ولا يحبها؛ فمن الطبيعي ألا يلقى منها احترامًا ولا تقديرًا، وألا يحوز على ثقتها ولا تمنحه محبتها.

يقول أبو الأسود الدؤلي:

يا أيـــها الرجـــــلُ المعلِّمُ غيرَهُ * هلاّ لِنفسِكَ كـــــان ذا التعلِيم
تَصِفُ الدواء لذي السِّقَامِ وذي الضنى * كيما يصحّ به وأنتَ سقيم
وأراكَ تُصلِحُ بالرشـــــادِ عقولَنا * أبدًا وأنت من الرشـــــادِ عقيمُ

(١) سورة الصف (آية: ٢–٣).
(٢) سورة البقرة (آية: ٤٤).
(٣) سورة هود (آية: ٨٨).
(٤) إعداد المعلم، لعبدالله عبد الحميد محمد (ص ١٥٦).

لا تنهَ عن خُلُقٍ وتـــــأتيَ مِثلَهُ * عـــــارٌ عليك إذا فعــلت عظيمُ
فابدأ بِنفســـــكَ فانْهَهَا عن غيِّهَا * فإذا انتهتْ عنهُ فأنتَ حَكِيمُ
فهنـــــــاك يُقبلُ ما تقُول ويقتدي * بالعــلم منكَ وينفعُ التعليمُ [1]

ومطابقة القول للعمل تحتاج إلى رياضة وصبر وتقوى لله في السر والعلن، وإلى مجاهدة ومحاسبة للنفس.

والمعلم الأكثر تأثيرًا في الآخرين والأكثر أتباعًا والأعظم محبةً في نفوس طلابه وجميع من حوله هو من وافق قوله عمله.

المظهر السابع: اعتراف المعلم أمام المتعلم بالخطأ.

اعتراف المعلم لطلابه بالخطأ يدل على احترامه لعقلياتهم وتعليمهم وتعويدهم على الشجاعة الأدبية وهذا كان منهج النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فعن أبي رافع بن خديج قال: قدم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المدينة، وهم يأبرون النخل-يلقحون النخل-فقال: "ما تصنعون؟" قالوا: كنا نصنعه. قال: "لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرًا لكم" فتركوه. فنفضت أو فنقصت. قال فذكروا ذلك له فقال: " إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتك بشيء من رأي. فإنما أنا بشر» وفي بعض الروايات قال: «أنتم أعلم بأمور دنياكم» ويتضح من معنى الحديث أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بشر يخضع للأحوال التي تعتري البشر من النسيان والخطأ وغير ذلك. أما في مقام التشريع فلا يجوز عليه ذلك.

ومن ذلك ما رواه مسروق قال: ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثم قال: أيها الناس ما أكثركم في صدق النساء، وقد كان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه والصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم. فما دون ذلك. ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقوهم إليها. فلأعرفن ما زاد رجل في صداق امرأة على أربعمائة درهم. قال: ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمائة درهم، قال: نعم فقالت أما سمعت الله يقول: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا﴾ الآية قال: فقال اللهم غفرًا، كل الناس أفقه من عمر. ثم رجع فركب المنبر فقال: أيها الناس إني كنت نهيتكم أن

(١) أبيات مختارة، لعبد الله بن محمد البصيري (ص ٦٦).

تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب.[١]

وقد كان منهج السلف الصالح الرد على شيوخهم ومعلميهم ومخالفتهم، والتصحيح لهم، وكان الشيوخ قد تعودوا هذا الأمر مع شيوخهم، فيقبلون ما يرونه حقًّا ويردون ما لا يرونه من رأي ردًّا لطيفًا مدعمين هذا الرد بالحجج والبراهين، ويدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد بن حنبل عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال: حدَّث سفيان الثوري عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر عن النبي أنه قال: «لا تصحب الملائكةُ رفقةً فيها جرس»[٢].

فقلتُ له: تعستَ يا أبا عبد الله –أي عثرتَ–.

فقال: كيف هو؟

قلت: حدَّثني عبيدُ الله بن عمر عن نافع عن سالم عن أبي الجراح عن أم حبيبة عن النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

فقال: صدقتَ.

قال السخاوي: «قد اشتمل هذا الخبرُ على عظم دين الثوري، وتواضعه، وإنصافه، وعلى قوة حافظة تلميذه القطان، وجرأتهِ على شيخه حتى خاطبه بذلك، ونبهه على عثوره»[٣].

وقال الشوكاني عن التاج السبكي: «إنه كان في غاية الإنصاف، والرجوع إلى الحق في المباحث، ولو على لسان أحد الطلبة»[٤].

وعلى المعلم ألا يثقل عليه التصحيح سواء عرف الصواب بنفسه، أم نبهه عليه أحد طلابه، كما لا يحق له أن يؤذى المصحح بقول أو فعل انتقامًا منه، بل يجب شكره لتشجيعه ولتشجيع زملائه على التفكير الناقد، وعلى قبول المخالف وتنمية الشجاعة

---

(١) ساقه الحافظ ابن كثير في تفسيره من طريق أبي يعلى بسنده ثم قال ابن كثير في آخره. قال أبو يعلى: وأظنه قال: فمن طابت نفسه فليفعل إسناده جيد قوي. (تفسير ابن كثير. الآية ٢٠ من سورة النساء).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، (١٤/٨٠) رقم (٨٣٣٧)، بإسناد صحيح.

(٣)فتح المغيث، للسخاوي (١/ ٣٤٤).

(٤ البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع، للشوكاني (١/٤٦٨).

الأدبية في نفوسهم، فليس في الخطأ هدر كرامة، ولا انتقاص قدر؛ ففوق كل ذي علم عليم.

والعلم بحر لا ساحل له، ولا يحيط به إلا عالم الغيب والشهادة الله جل جلاله، قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، وإذا كان الأمر كذلك فلا حياء ولا عيب أن يقول المعلم أو غيره: لا أدري، بل هو من تمام العلم، سئل الشعبي عن مسألة فقال كلامًا فيه أني لا أحسن الإجابة عن هذه المسألة. فقال له أصحابه: قد استحيينا لك مما رأينا منك. فقال: لكن الملائكة المقربين لم تستحِ حين قالت: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾.

يقول الماوردي: فإذا لم يكن إلى الإحاطة بالعلم سبيل، فلا عار أن يجهل بعضه، وإذا لم يكن في جهل بعضه عار، لم يقبح به أن يقول لا أعلم فيما ليس يعلم.

المظهر الثامن: مناداة المتعلم باسمه.

إن مناداة الإنسان باسمه أثناء الحديث فيه تكريم واحترام له من المتحدث، وكان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يحرص على ذلك سواء كان عند تعليم أصحابه، أو أثناء حديثه معهم وحديث معاذ الذي تقدم ذكره أكبر دليل على ذلك حيث قال: «يَا مُعَاذُ»، ففي هذا نداء من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لمعاذ باسمه، وجاء في رواية أخرى في الصحيحين أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كرر عليه النداء يقول له: «يا معاذ بن جبل» يقول معاذ قلت: "لبيك يا رسول الله وسعديك"، ثم سار ساعة ثم قال: «يا معاذ بن جبل» قلت: "لبيك يا رسول الله وسعديك"

وعن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا عَبْدَاللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»

وعن حَنْظَلَة بْنُ حِذْيَم رضي الله عنه قال: «كان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُعْجِبُهُ أَنْ يَدْعُوَ الرَّجُلَ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ وَأَحَبِّ كُنَاهُ».

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كناه أبا عبدالرحمن ولم يولد له.

والسنة زاخرة بكثير من الأمثلة في هذا الباب، ويدل ذلك على أهمية مناداة الشخص باسمه الذي يُعرف به وينادى به بين الناس؛ لأن في مناداته باسمه توقيرًا له، واحترامًا لشخصه.

ولسماع الطالب لاسمه من معلمه أثر كبير في انشراح نفسه وشعوره باهتمام معلمه الخاص به؛ مما يظهر أثره على بذله لمزيد من الاهتمام لما سوف يقول معلمه بعد ذلك.

فإن كان في مناداة المعلم الطالب بما يحب من أسمائه تلطف وود واحترام، فإن نبزه بألقاب لا يحبها أو معايرته أو الاستهزاء به ولو مزاحًا توغر صدره وتضايقه.

المظهر التاسع: تكريس المعلم وقته للمتعلم.

كان النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يكرس جل وقته لتعليم الناس وحل مشكلاتهم ومخالطتهم وحضور مناسباتهم والأنس معهم.

ومن ذلك ما رواه عثمان بن عفان – رضي الله عنه – قال في خطبة له: «إنَّا والله قد صحبنا رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير»[(١)].

قال أنس – رضي الله عنه – أيضا: «كان رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يعود المريض، ويتبع الجنائز، ويجيب دعوة المملوك، ويركب الحمار»[(٢)].

ولقد كثر توارد الناس على رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن صلاته: «حتى كان آخر حياته يصلي جالسًا لما حطمه الناس»[(٣)].

والعبارة تعطي معنى أنهم جعلوه شيخًا قبل أوانه، حيث إن الناس حطموه بتحمل أعبائهم حتى أنهكوه.

قال ابن سِيدَه: الحَطْمُ: الْكسر فِي أَي وَجه كَانَ، وَقيل: هُوَ كسر الْيَابِس خَاصَّة، حَطَمَه يَحْطِمُه حَطْمًا، وحَطَّمَه، فانحَطَم وتحَطَّم، والحِطْمَةُ والحُطامُ: مَا تحَطَّمَ من ذَلِك، وصعدة حِطَمٌ، كَمَا قَالُوا: كسر، كَأَنَّهُمْ جعلُوا كل قِطْعَة مِنْهُ حِطَمَةٌ. [(٤)]

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٥٣٢) رقم (٥٠٤) بإسناد حسن.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، تفسير سورة ق رقم (٣٧٣٤)، والبيهقي في شعب الإيمان، باب في حسن الخلق، فصل في التواضع رقم (٨١٩٠)، بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: جواز النافلة قائمًا وقاعدًا رقم (١٢٥٧).

(٤) المحكم والمحيط الأعظم (٣/ ٢٤٨).

قال ابن فتوح الحَمِيدي: وهو كنَايَة عَن كبره فيهم، وَيُقَال حطم فلَانًا أَهلُه، إذا كبر فيهم كَأَنَّهُمْ رُبما حملوه من أثقالهم فصيروه شَيخًا محطومًا. (١)

قال النووي: يُقَالُ: حَطَمَ فُلَانًا أَهْلُهُ، إِذَا كَبُرَ فِيهِمْ، كَأَنَّهُ لَمَّا حَمَلَهُ مِنْ أُمُورِهِمْ وَأَثْقَالِهِمْ وَالِاعْتِنَاءِ بِمَصَالِحِهِمْ، صَيَّرُوهُ شَيْخًا مَحْطُومًا. (٢)، ومما يدل على تكريس وقته لهم حديث أنس رضي الله عنه حيث قال: « إِنْ كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–(٣)، فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ»(٤).

وعن أبي رِفَاعة – رضي الله عنه – قال: «انتهيت إلى النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وهو يَخْطُبُ، قال: فقلت: يا رسول الله، رَجُلٌ غَرِيبٌ جاء يسأل عن دينه، لا يدري ما دينه، قال: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وترك خطبته حتى انتهى إليَّ، فأُتي بكرسيٍّ حسبت قوائمه حديدًا. قال: فَقَعَدَ عليه رسول الله ––صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وجعل يُعَلِّمُنِي مِمَّا علمه الله، ثم أَتَى خُطْبَتَهُ، فَأَتَمَّ آخِرَهَا»(٥)

وكان –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يبتسم في وجوههم، ويسمعهم الكلام الطيب، ويتقبل شكواهم بصدر رحب وأدب جم، فعن جرير –رضي الله عنه– قال: ما حجبني النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي، ولقد شكوت إليه إني لا أثبت على الخيل، فضرب بيده في صدري وقال: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا» (٦).

---

(١) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص: ٥٢٥).

(٢) شرح النووي على مسلم، (٦/ ١٣).

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في "الفتح" (١٠/٤٩٠): " الْمَقْصُودُ مِنَ الْأَخْذِ بِالْيَدِ: لَازِمُهُ، وَهُوَ الرِّفْقُ، وَالِانْقِيَادُ". وهذا أسلوب عربي معروف، كما في الدعاء: "اللهم خذ بأيدينا إليك" أي: وفقنا للانقياد لك، لأن من أخذ بيدك فقد انقدت له.

ولقد وردت زيادة ضعيفة في متن الحديث عند ابن ماجه رقم (٤١٧)، وأحمد رقم (١٢٧٨٠) وهي لفظ (فَمَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهَا) تفرد بها علي بن زيد بن جدعَان، وهو ضعيف الحديث، ضعفه الأئمة كأحمد ويحيى والبخاري وابن خزيمة وغيرهم، ووصفوه بالاختلاط وسوء الحفظ. ينظر: ميزان الاعتدال للذهبي (٣/ ١٢٧)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٧ /٢٨٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب، باب: في الهجرة رقم (٥٧٣٥).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الخطبة، باب: حديث التعليم في الخطبة رقم (١٥٠٩).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الجهاد والسير، باب: حرق الدور والنخيل رقم (٢٨٨٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: من فضائل جرير بن عبدالله رقم (٤٦٥٠) واللفظ لمسلم.

وعن عِتْبَان بن مالك –وكان من أصحاب النبي ﷺ ممن شهد بدرًا من الأنصار– أنه أَتَى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني أَنْكَرْتُ بصري وأنا أُصَلِّي لِقَوْمِي، فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم، لم أَسْتَطِعْ أن آتِيَ مسجدهم فَأُصَلِّيَ لَهُمْ، فَوَدِدْتُ يا رسول الله أَنَكَ تَأْتِي فَتُصَلِّي في بيتي فَأَتَّخِذُهُ مُصَلًّى، فقال: «سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، قال عِتْبَانُ: فَغَدَا رسول الله ﷺ وأبو بكر حين ارْتَفَعَ النهار، فَاسْتَأْذَنَ النبي ﷺ فَأَذِنْتُ له، فلمْ يَجْلِسْ حتى دخَلَ البَيْتَ، ثم قال: «أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟» فَأَشَرْتُ إلى نَاحِيَةٍ من البَيْت، فَقَامَ النبي ﷺ فَكَبَّرَ فَصَفَفْنَا، فَصَلَّى ركعتين ثُمَّ سَلَّمَ[(١)].

وكان تكريس وقته لأصحابه يمتد إلى ما بعد الموت، يمشي في جنازة من شهد وفاته منهم، ويصلي على قبر من لم يشهد وفاته ويدعو له؛ فقد جاء أن امرأة كانت تقم المسجد قد ماتت ففقدها، فسأل عنها النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فقيل له: إنها ماتت، فقال: «هلا آذنتموني! – أي: لم تخبروني بوفاتها» – «فأتى قبرها فصلَّى عليها ودعا لها»[(٢)].

فعلى المعلم ألا يقتصر على وقت الحصة فقط في بناء علاقاته بطلابه، بل يكرس من وقته لتعليمهم ولمشاركتهم أفراحهم وأحزانهم، ومد يد العون لهم للأخذ بأيدي المتعثرين منهم، وتشجيع المبدعين والمميزين منهم.

فكلما بذل الأستاذ من وقته لنفع طلابه ولسماع شكواهم أو نصحهم؛ زادت محبته في نفوس طلابه، وزاد تأثيره فيهم، وأصبح من السهل عليه توجيههم الوجهة التي يريدها لهم وسيزدادون حرصًا على إسعاده من ناحية تعلمهم؛ لأن أكثر ما يسعد المعلم هو أن يجد ثمار ما يعلمه طلابه من مهارات عليهم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الصلاة، باب: إذا دخل بيتًا يصلي حيث شاء أو حيث أمر ولا يتجسس رقم (٤١٦)، ومسلم في صحيحه، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: الرخصة في التخلف عن الجماعة لعذر رقم (١٠٩٩) واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب أبواب المساجد، باب: كنس المسجد والتقاط الخرق والقذى والعيدان، رقم (٤٤٦)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الجنائز، باب: الصلاة على القبر، رقم (٢٢٥٩).

المظهر العاشر: تفقد أحوال المتعلم.

على المعلم أن يتفقد طلابه ويسأل عن أحوالهم؛ فقد كان النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مع كثرة انشغاله وعظيم مسؤلياته يتفقد أصحابه، فيعود مريضهم ويسأل عن غائبهم، فعن عبد الله بن بُرَيْدَةَ عن أبيه رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَتَعَهَّد الأنصار ويَعُودُهم ويَسأل عنهم، فَبَلَغَهُ عن امْرَأَةٍ من الْأَنْصَارِ ماتَ ابنها وليس لها غيره، وأنها جَزِعَتْ عليه جَزَعًا شَدِيدًا، فَأَتَاهَا فَأَمَرَهَا بِتَقْوَى اللَّهِ وَبِالصَّبْرِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنِ امْرِئٍ، أَوِ امْرَأَةٍ مَسْلَمَةٍ يَمُوتُ لَهَا ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ إِلَّا أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ بِهِمُ الْجَنَّةَ». (١)

وها هو عندما وصل إلى تبوك يسأل: «ما فعل كعب بن مالك؟»(٢)، أي. يسأل عنه، من بين تلك الأعداد الكبيرة، ويلحظ غيابه بين ألوف من البشر، فلم يشغله هم الاستعداد لقتال أكبر قوة عسكرية في ذلك الوقت – الروم – ولم يشغله كثرة عدد من معه ولا طول الطريق وصعوبته ذهابًا وإيابًا، ولا ما لقاه من عطش وجوع، عن تفقد أحوال أصحابه والسؤال عن غائبهم. ولم يكن هذا التفقد للرجال فقط ولا في ساحة الحرب فقط، بل حدث ذات مرة أن تغيبت امرأة فقيرة عجوز لم يكن يعرفها إلا القليل، ولكنها كانت تَقُمّ المسجد– أي: تنظِّفه –، وتغيبت أيامًا، فسأل عنها النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ».

وروي أنه بينما كان قافلًا من إحدى غزواته وبينما هو يتفقد آخر الجيش؛ إذ يجد صاحبه جابر بن عبد الله وقد تأخر بعيره؛ فيسأله عن حاله وأحوال أخواته –وقد كان له سبعة من الأخوات تركهن له أبوه–، فأخبره أنه قد تزوج...." (٣).

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه رقم (١٣٦٦) بإسناد حسن.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب المغازي، باب: حديث كعب بن مالك وقوله تعالى ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾، رقم (٤١٧٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب: باب شراء الدواب والحمر، وإذا اشترى دابة أو جملًا وهو عليه، هل يكون ذلك قبضًا قبل أن ينزل، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: قال النبي – صلى الله عليه وسلم– لعمر: «بعنيه» يعني جملًا صعبًا رقم (٢٠١٣) يقول جابر: كنت مع النبي – صلى الله عليه وسلم– في غزاة، فأبطأ بي جملي وأعيا، فأتى علي النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال" «جابر»: فقلت: نعم، قال: «ما شأنك؟» قلت: أبطأ علي جملي وأعيا، فتخلفت، فنزل يحجنه بمحجنه ثم قال: «اركب»، فركبت، فلقد رأيته أكفه عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، قال:

وعن قرة بن إياس رضي الله عنه أن رجلًا كان يأتي النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ومعه ابن له فقال النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «أتُحِبُّهُ ؟» قال: نعم يا رسول الله أحبك الله كما أحبه، فَفَقَدَهُ النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فقال: «مَا فَعَلَ ابْنُ فُلَانٍ ؟» قالوا: يا رسول الله مات، فقال النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لأبيه: «أَمَا تُحِبُّ أَنْ لَا تَأْتِيَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، إِلَّا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ؟» فقال رجل: يا رسول الله: ألله خاصة أم لِكُلِّنَا؟ قال:« بَلْ لِكُلِّكُمْ»[(١)].

وروي أنه لما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[(٢)] قعد ثابت بن قيس في بيته، فافتقده النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فقال رجل: يا رسول الله، أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالسًا في بيته، منكسًا رأسه، فقال: ما شأنك ؟ فقال: شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فقد حبط عمله، وهو من أهل النار، فأتى الرجل فأخبره أنه قال كذا وكذا، فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «اذْهَبْ إِلَيْهِ، فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»[(٣)].

إنّ نبي الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إذا جلس يجلس إليه نَفَرٌ من أصحابه، وفيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خَلْف ظَهره، فَيُقْعِدُه بين يديه، فَهَلَكَ فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة لذكر ابنه، فحزن عليه، ففقده النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فقال: «مَالِي لَا أَرَى فُلَانًا؟» قالوا: يا رسول الله، بنيه الذي رأيته هلك، فلقيه النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فسأله عن بُنَيِّه، فأخبره أنه هلك، فعزاه عليه، ثم قال: «يَا فُلَانُ أَيُّمَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيْكَ: أَنْ تَمَتَّعَ بِهِ عُمُرَكَ أَوْ لَا تَأْتِي غَدًا إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ؟»، قال: يا نبي الله، بل يسبقني إلى باب الجنة فيفتحها لي لهو أحب إليّ، قال: « فَذَاكَ لَكَ».[(٤)]

"تزوجت" قلت: نعم، قال: «بكرًا أم ثيبًا» قلت: بل ثيبًا، قال: «أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك» قلت: إن لي أخوات، فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن، وتمشطهن، وتقوم عليهن..."

(١) رواه أحمد في مسنده رقم (١٥٣٦٠)، وقال المنذري: رجاله رجال الصحيح.

(٢) سورة الحجرات (آية: ٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب المناقب، باب: في علامات النبوة في الإسلام رقم (٣٤٤٨).

(٤) أخرجه النسائي في سننه في كتاب الجنائز، باب: في التعزية رقم (٢٠٨٠) بإسناد صحيح.

ومن هذا نعرف أن النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كان يتفقد أحوالهم ليخفف عن مريضهم وليقدم لهم ما يصلح أحوالهم من نصح أو مساعدة.

كثير من المعلمين يندفعون للتدريس، ويعتقدون بأنه ليس هناك أي وقت لتضييعه في أي أمور خارجة عن الدرس، مما يجعلهم ينسون أن المعارف التي يشملها الدرس ليست غاية بحد ذاتها، بل هي وسيلة لبناء عقليات وشخصيات قادرة على التفكير والإبداع وهذا لا يتأتى إلا في جو إيجابي تسود بين أفراده المَحَبَّة والألفة والأمن.

المظهر الحادي عشر: تقديم الأعمال الخِدْمِيَّة للمتعلم.

كان النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وهو سيد البشر الذي اصطفاه الله على سائر البشر لا يترفع عن خدمة أصحابه، وأهل بيته فتراه في بيته يخدم نفسه بنفسه؛ فتصفه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بذلك قائلة عنه: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ – تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ – فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ" وتوضح نوع الخدمة في رواية أخرى فتقول: كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ. (١)

ومما يروى في أنه ربما صنع لأصحابه الطعام بنفسه أنه رأى عثمانَ بنَ عفانَ رضِيَ اللهُ عنه يقودُ ناقةً تحملُ دقيقًا وسمنًا وعسلًا فقال رسولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– «نِخْ» فأناخَ، فدعا ببُرمةٍ فجعل فيها من السمنِ والعسلِ والدقيقِ، ثم أمر فأوقد تحتَها حتى نضج، ثم قال: «كُلُوا» فأكل منه رسولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، هذا شيءٌ يدعوه أهلُ فارسَ الخبيصَ. (٢)

وفي روايات كثيرة أنه كان يغرف لهم الطعام، ويقسم العطايا والهدايا عليهم بنفسه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِتَمْرٍ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقْسِمُهُ". (٣)

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: كُنْتُ جَالِسًا فِي دَارِي، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَأَشَارَ إِلَيَّ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَى بَعْضَ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَدَخَلَ ثُمَّ أَذِنَ لِي، فَدَخَلْتُ الْحِجَابَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: هَلْ مِنْ غَدَاءٍ ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، فَأُتِيَ بِثَلَاثَةِ أَقْرِصَةٍ، فَوُضِعْنَ عَلَى نَبِيٍّ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأذان، باب: من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج رقم (٦٥٥).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، (١٢/ ٤٩٠) رقم (٥٦٧٤) بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الأشربة، باب: أكل التمر مقعيًا، رقم (١٣١٧).

وَسَلَّمَ- قُرْصًا، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَخَذَ قُرْصًا آخَرَ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيَّ، ثُمَّ أَخَذَ الثَّالِثَ، فَكَسَرَهُ بِاثْنَيْنِ، فَجَعَلَ نِصْفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَنِصْفَهُ بَيْنَ يَدَيَّ، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ مِنْ أُدُمٍ »؟"قَالُوا: لَا إِلَّا شَيْءٌ مِنْ خَلٍّ، قَالَ: «هَاتُوهُ، فَنِعْمَ الْأُدُمُ هُوَ».(١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا بَيْنَ أَصْحَابِهِ تَمْرًا، فَأَعْطَى كُلَّ إِنْسَانٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَانِي سَبْعَ تَمَرَاتٍ إِحْدَاهُنَّ حَشَفَةٌ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِنَّ تَمْرَةٌ أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنْهَا، شَدَّتْ فِي مَضَاغِي".(٢)

وكان – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يركب الحمار، ويردف خلفه، وكان يرقيهم ويعالج جراحهم، ويدعو لهم، ومن ذلك أن علي بن أبي طالب مرض، فجعل النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يدعو، قائلا: «اللهم اشفه، أو عافه»، قال علي: فما اشتكيت وجعي ذاك بعد.(٣)

فكان يخفض لهم جناحه رحمةً بهم وحبًّا لهم امتثالًا لأمر الله –سبحانه وتعالى- حيث قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤).

ولقد كان يكرس وقته لأهل الصفة يعلمهم ويواسيهم ويطعمهم ويكسوهم، وفي ذلك يقول أبو هريرة رضي الله عنه: وأهلُ الصُّفَّةِ(٥) أَضْيَاف الإسلام، لا يَأْوُونَ إلى أَهْلٍ ولا مَالٍ ولا على أحدٍ، إذا أَتَتْ النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَدَقَةٌ بَعَثَ بها إليهم ولم يناول منها شيئًا، وإذا أَتَتْه هَدِيَّةٌ أرسل إليهم وأصاب منها، وَأَشْرَكَهُمْ فيها.(٦)

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الأشربة، باب: فضيلة الخل والتأدم به، رقم (١٣١٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأطعمة، باب: ما كان النبي –صلى الله عليه وسلم- وأصحابه يأكلون رقم (٥١١٨).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده رقم (١٠٥٧)، والنسائي في سننه الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول عند ضر ينزل به رقم (١٠٨٩٧) بإسناد حسن.

(٤) سورة الشعراء (آية: ٢١٥).

(٥)كان أهل الصفة ناسًا فقراء، لا منازل لهم فكانوا ينامون في الصفة، وهي مكان مظلل في مسجد رسول الله –صلى الله عليه وسلم-، لا مأوى لهم غيره. يقول أبوهريرة: كنت من أهل الصفة، وكنا إذا أمسينا حضرنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم- فيأمر كل رجل فينصرف برجل أو أكثر فيبقى من بقي عشرة أو أقل أو أكثر، فيأتي النبي –صلى الله عليه وسلم- بعشائه فنتعشى معه، فإذا فرغنا قال: «ناموا في المسجد». ينظر فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٤٢).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الرقاق، باب: كيف كان عيش النبي –صلى الله عليه وسلم- وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، رقم (٦١١٤).

كما أكدت كتب السيرة أنه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قسم العمل بينهم في حفر الخندق ثم شاركهم في الحفر، وكابد معهم الجوع والصعاب كفرد منهم، وكان يشرف على إطعامهم[١]، وكان يحفزهم ويجدد نشاطهم، ويردد الأهازيج معهم. يقول سَهْلُ بن سعد السَّاعِدِيُّ: كنا مع رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في الخَنْدَقِ، وهو يَحْفِرُ ونحن نَنْقُلُ التراب، وَيَمُرُّ بِنَا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ، فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ»[٢] فأخذوا يرددونها ويتغنون بها.

لقد تمكن النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بذكائه الفطري وبقدراته العالية في القيادة من تعليم أصحابه حتى خرج على يديه قادة قادوا الدولة الإسلامية إلى التقدم سياسيًّا وعلميًّا وحضاريًّا واقتصاديًّا؛ وذلك بتسخير وقته لخدمتهم ومساندتهم وإيثارهم على نفسه، والصبر عليهم وحمايتهم وتحفيزهم وشد هممهم. فقد كان العرب قديمًا يقولون (سيد القوم خادمهم) أي هو من يسهر لحمايتهم وراحتهم ولتأمين احتياجاتهم المادية والمعنوية، ويعمل على تطوير مهاراتهم وتدريبهم.

والمعلم في الحقيقة هو قائد يقود أمة، وليس مجرد طلبة تجمعهم قاعة؛ فالطلاب هم شباب المستقبل، وقادة الوطن والأمة التي ينتمون لها.

ومن النظريات الحديثة في القيادة نظرية (القيادة بالخدمة) أو (القيادة الخادمة) والتي أثارت جدلًا واسعًا بين المهتمين بالقيادة.

ويُعد روبرت جرينليف (**Robert Greenleaf**) أول من تحدث عن مفهوم القيادة الخادمة وذلك في عام ١٩٧٠م، حيث كان مقصده في ذلك أن المرؤوسين عادة ما يكونون محور اهتمام القادة وتركيزهم، وأن القائد هو الخادم بالدرجة الأولى، وأن القيادة ما هي إلا تعبير عن الدافعية تجاه خدمة الآخرين، فهو يضع مصلحة المرؤوسين أولًا؛ وذلك بهدف الوصول إلى أعلى معدلات الإنتاجية، فيوليهم الاهتمام ويوفر الدعم اللازم لهم.[٣]

---

(١) ينظر: المغازي للواقدي (٢ /٤٤٥)، وتهذيب سيرة ابن هشام (ص١٨٩)، والسيرة النبوية لابن هشام (٣ /٢٢٦)، وتاريخ الأمم والملوك (٢ /٢٣٤)، ونهاية الأرب (١٧ /١٦٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: لا عيش إلا عيش الآخرة (٦٦٧٧).

(٣) نظريات القيادة: القيادة المشتركة، لمحمد عبد الرحمن القرني، متوفر على الرباط: http://Saudileadership.org/%D9%866%D8%B8.

وانطلقت حركة القيادة الخادمة الحديثة في العالم عام ١٩٧٧م، بعد أن تمت صياغة "القائد الخادم" من قبل جرينليف في مقالته الكلاسيكية "القيادة الخادمة".[١]

أهم عشر صفات في القائد الخادم:

١- الاستماع: فالقائد يجب عليه أن يستمع لاحتياجات المجموعة ليخدمهم بما يصلح به حالهم، مع التفكير فيما يقال.

٢- التعاطف: على القائد أن يتعاطف مع الفريق بعد أن يفهمهم، فالناس بحاجة لمن يشعر بهم ويعرف حاجاتهم ويتعرف على نفوسهم المتفردة.

٣- الشفاء: وهو شفاء مشاعرهم من أي جرح قد يؤثر في تقدمهم وإنتاجيتهم.

٤- الوعي: وهو وعي القائد بنفسه وبإمكاناته قبل توليه قيادة الفريق، ثم وعيه بأفراد المجموعة والتعرف على نقاط قوتهم ونقاط ضعفهم.

٥- الإقناع: وهو استبدال استخدام السلطة في تنفيذ القرارات، وفي إدارة العمل.

٦- البصيرة: وذلك بالاستفادة من التجارب السابقة، ومن وقائع الحاضر والنتائج المستقبلية قبل اتخاذ أي قرار.

٧- الإشراف: وذلك بتسيير الأمور لتحقيق المصلحة العامة للمجموعة، مع المحافظة على مصالح أفراد المجموعة الشخصية.

٨- الالتزام بارتقاء الآخرين: وذلك بمعرفة قيمتهم الفعلية التي تتجاوز كونهم مجرد اتباع، وذلك ببذل الجهد والمال لتطوير مهاراتهم المهنية والشخصية وإشراكهم في صنع القرار.

٩- القَبول: وهو التعايش في بيئة العمل، ومعناه أن يقوم الطرفان بقبول بعضهما، حيث إنّ القبول لا يعني أن يقوم القائد بإلغاء ذاته وهويته وثقافته، بل القدرة على التفاهم والتواصل البناء مع الآخرين في إطار الاحترام المتبادل.

١٠- بناء مجتمع مترابط: ولا يتحقق ذلك بكثرة الاجتماعات والاحتفالات، لكن يكون بتنمية الإحساس بالآخرين بينهم، وتأكيد العمل بروح الفريق، وتلاشي الأنا واحترامهم وتقديرهم وإشراكهم في القرارات.[٢]

---

(١) القيادة الخادمة وعلاقتها بالالتزام التنظيمي لمحمد غالي (ص ٢٥) بتصرف.

(٢) القيادة الخادمة وعلاقتها بالالتزام التنظيمي، لمحمد غالي (ص ٢٧) بتصرف.

لو عرضنا ما ذكر في هذا الباب وما ذكر في كتب السنة النبوية لوجدنا أن صفات النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومهاراته القيادية فاقت ما ذكر من صفات؛ فالسنة النبوية بعد كتاب الله -تعالى- هي المعين الذي لا ينضب لإثراء المجتمعات وتقويمها في جميع المجالات.

المبحث الثالث: أهمية احترام المتعلم في العملية التعليمية.

اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بالمتعلم باعتباره ذاتا فاعلة وروحا متطلعة وعقلا واعيا لتهيئته ليكون قائدا ومعلما ومربيا وعالما يقود الناس ويعلمهم الخير.

فكان احترام المتعلم جزءا من هذا الاهتمام لما يترتب عليه من فوائد عظيمة تنعكس على المتعلم وعلى المجتمع، ومن هذه الفوائد:

١- تقدير المتعلم لذاته وشعوره بالاهتمام والقيمة والكفاءة.

٢- احترام المتعلم للمعلم لأن الاحترام سيكون متبادلا فمن يحترم الناس ويحسن التعامل معهم يحترموه ويقدروه.

٣- المساهمة في بناء القيم الحضارية التي تقوم عليها العلاقات الإنسانية؛ فتكوين القيم لا يمكن إتمامها دون احترام ينبع من الفرد لمن حوله ممن هو أكبر منه قدراً أو سناً ومع من هو أدنى منه قدراً أو سناً.

٤- بناء جيل واعد لأن متعلم اليوم هو معلم الغد.

٥- تكوين مجتمع حضاري يسود الود والاحترام والتقدير بين أفراده.

٦- مساعدة المتعلم على تحمل المسئولية وإشعاره بأنه جزء مهم في المسئولية الجماعية.

٧- الاحترام مفتاح من مفاتيح التأثير فبه يسهل على المعلم أن يؤثر على المتعلمين.

الخاتمة

من خلال البحث في احترام المتعلم في السنة النبوية خلصت لعدد من النتائج والتوصيات جاءت على النحو الآتي:

أولًا: النتائج:

١- السنة النبوية زاخرة جدًّا بالمواقف التربوية والتعليمية التي ممكن تنزيلها على واقعنا والاستفادة منها.

٢- تعدد مظاهر احترام المتعلم في السنة والتي ذكرت منها إحدى عشر مظهرا على سبيل التمثيل وليس الاستقصاء .

٣- عظم مكانة المتعلم وفضله في الإسلام.

٤- أن الاحترام في التعليم متبادل بين المعلم والمتعلم.

٥- الأثر العظيم لاحترام المتعلم على العملية التعليمية وعلى المجتمع.

ثانيًا: التوصيات:

١- دراسة الأحاديث النبوية دراسة دقيقة مبنية على التأمل وقائمة على الفهم، تجمع بين الأصالة والإبداع.

٢- إعداد المعلمين إعدادًا جيدًا وتدريبهم على أهم المهارات والأساليب التربوية قبل نزولهم لميدان التعليم.

٣- التركيز على دراسة الأحاديث التي تعمق العلاقة الإنسانية بين الطالب والمعلم لإنجاح العملية التعليمية.

وأسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا إنه سميع مجيب، وصلى الله على حبيبنا ونبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

- أبيات مختارة، عبد الله بن محمد البصيري، مطابع الحميضي، ط١، ١٤٢٢هـ.
- الإحسان بتريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
- أدب الدين والدنيا، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، دار مكتبة الحياة، دط ١٩٨٦م.
- إعداد المعلم من منظور التربية الإسلامية، عبدالله عبد الحميد محمد، ط١ ١٤١٥هـ.
- الإنسان المهدور، مصطفى حجازي، دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، مركز التراث العربي،بيروت،ط١، ٢٠٥.
- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي، تحقيق: عبدالله التركي دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ.
- البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي تحقيق: مصطفى حجازي، التراث العربي، الكويت، ١٤٠٨هـ.
- تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، محمد بن جرير الطبري، نحقيق: أبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار، دط، دت.
- تاريخ دمشق، علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمرو غرامة العمروي، دار الفكر، ١٤١٥هـ.
- التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن ابن حمدون، دار صادر، بيروت، ط١ ١٤١٧هـ.
- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد فتوح ابن أبي نصر الحميدي، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ.
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمرو ابن كثير، دار الحديث، القاهرة، ط١ ١٣٢٢هـ

- جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبدالله ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٤هـ.
- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، دط ١٤٠٤هـ.
- تهذيب سيرة ابن هشام، عبد السلام هارون، موقع الوراق، ٢٠١١م.
- الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، د.ط، د.ت.
- الدعاء، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
- سُبل الهُدى والرَّشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
- سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية –حلب ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ .
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر، بيروت، دط، دت.
- السيرة النبوية، ابن هشام لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط٢، ١٣٧٥هـ.
- شرح النووي على صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، محي الدين النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقبق: حمدي الدمرداش، محمد العدل دار الفكر – بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ .
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، بيت الأفكار الدولية للنشر الرياض، دط، ١٤١٥هـ.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث، بيروت، د.ط ، د.ت .
- صورة المتعلم في نظريات التعلم من الذات المنفعلة إلى الذات الفاعلة، بريزي عبدالله، مجلة علوم التربية، المغرب، العدد ٦٣ أكتوبر ٢٠١٥م.

- علم النفس التربوي، فؤاد أبو حطب و الدكتورة آمال صادق ، مكتبة الأنجلو ط٣.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار السلام– الرياض، ط١، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م.
- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، محمد بن عبدالرحمن السخاوي تحقيق: علي حسين علي، دار عالم الكتب، بيروت، دط، ١٤١٥هـ.
- القيادة الخادمة وعلاقتها بالالتزام التنظيمي، محمد أحمد غالي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية– غزة، ١٤٣٦هـ.
- مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، أحمد قبش، دار الرشيد، ط٣ ١٤٠٥هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر بيروت ، ١٤١٢هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- المستدرك على الصحيحين، أبو محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- مسند الإمام أحمد، أحمد بن محمد الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر، دط، دت.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقري، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، ١٤١٤هـ.
- معجم البلدان، أبو عبدالله ياقوت الحموي، دار الفكر بيروت، دط، دت.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، ت: حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ .
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وآخرون المكتبة الإسلامية، استانبول، دط، دت.
- المعلم الأول صلى الله عليه وسلم، فؤاد عبد العزيز الشلهوب، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

- المغازي، محمد بن عمر الواقدي، دار الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ.
- المناهج الحديثة وطرائق التدريس، محسن علي عطية، المناهج للنشر والتوزيع الأردن ط١، ٢٠١٣م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، تحقيق علي عوض وعادل عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق إبراهيم الإيباري، ط٢، ١٤٠٠هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي المكتبة العلمية –بيروت، ١٣٩٩هـ–١٩٧٩م.